Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ازدحمت رأسه بأمثال هذه المشاهد ، وزخر بها صدره ، وطغت على فكره ، وملكت عليه حسه وفؤاده ومن ثم فقد جاء نتاجه معبرا عن ذلك كله ، يظهر فيه أثره ، كما لم يظهر فى كراسات أو رسائل أو كتب غيره من أبناء العصر نفســـه ..

وحتى لا تختلط الحدود أو الأوراق عندنا بين « الجاحظ » نتاج عصره، والجاحظ مرآة عصره ، فاننا نقول أن السطور القادمة سوف تقدم - باذن الله - مزيدا من الضوء حول هذا النتاج ، بأسلوب أكثر التصاقا من كتابات الرجل ، لكننا نركز هنا على نقطتين :

● أن تأثره بعصره قد دفع به الى أن يعيشه بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، دفع به الى أن يرتاد المساجد والمكتبات والدواوين والقصور ودور اللهو ومجالس الأنس ومجتمعات الندامى ودكاكين الوراقين وأحياء الزنوج ومواقع السفلة ، بل لقد اكتوى الجاحظ بنار الفتن السائدة ، وخاض مواقف التحديات ، ورأس احدى طوائف المعتزلة وتحدث بلسانهم ، وقبض عليه أكثر من مرة ، وسيق مكبلا بالأغلال وسجن ، ويولغ فى اهانته ، وفى السخرية منه ، تماما كما بولغ فى مديحه والثناء عليه ، كان نتاجا للعصر بكل صوره و « متناقضاته » و « كرنفال » جده وهزله ،علمه ولهوه عمـله ومجونه .. ومن ثم كانت خبرته بذلك كله ، وراء كتاباته العقلية والموضوعية والتسجيلية الصادقة ، ألا يعنى ذلك كله أن الرجل كان نتاجا صادقا وواقعيا لهذا العصر بكل ما فيه ، ومن فيه ؟!

● **اننا نشير هنا الى بعض الأقـوال التى اتجهت الى بيان ذلك ، واتفقت فيه مع افكارنا ، بعد أن اضفنا اليها « المنحى الصحفى » :**

— ان أحد كبار الدارسين لنتاجه الغزير ، يقول فى مقدمة تحقيقه لكتابه « البخلاء » ... ان الجاحظ : « من أوفى اهـــل عصره لطابع ذلك العصر » (١) .

— ويقول دارس متابع آخر : « كان معظم النتاج الأدبى قبل الجاحظ لا موضوع له يدور فى حلقات مفرغة منمقة الحواشى من الفاظ مرصوفة أنيقة على غير مضمون ، فاذا بصاحبنا يشق طريقا جديدة ساعده فيها ابن المقفع